اجتهادات
خللُ أم انفعال؟

لا يصح اختزال مشكلة السياسة الصينية تجاه تايوان فى مجرد انفعال سببته زيارة بيلوسى إلى تايبيه. هذه الملاحظة تُعد أهم ما تضمنته تعليقات نقدية على اجتهاد 14 أغسطس الحالى (حين ينفعل الحكيم). والملاحظة صحيحةُ تمامًا. فمشكلة السياسة الصينية أكبر من انفعالٍ مؤقت ربما ما كان ليحدث إلا لوجود خللٍ فى هذه السياسة مرجعه أن الاهتمام بمواقف الولايات المتحدة أكبر بكثير من الاعتناء باتجاهات التايوانيين. فقد أتاح هذا الخلل فرصة لواشنطن لكى ُتحّول قضية داخلية إلى صراعٍ دولى بين القوتين الأكبر فى عالم اليوم0 كما أدى بالصين إلى إهمال التغير الذى يحدثُ فى اتجاهات التايوانيين، إذ ازداد نفوذُ المتشددين تجاه العودة إلى الوطن الأم على حساب المعتدلين الذين يمكن أن يكونوا سندًا لهذه العودة إذا تمكنت بكين من كسب عقولهم وقلوبهم. ويصعبُ التيقن مما إذا كان صانعو القرار فى بكين يدركون أن الجيلين الأحدث فى تايوان أكثر قلقًا من أسلافهما بشأن

نواياها تجاههم. والأرجح أن المناورات العسكرية الضخمة فى مضيق تايوان زادت هذا القلق، حتى وإن أعادت بكين تأكيد أولوية التوحيد السلمى فى الكتاب الأبيض الذى أصدرته فى 9 أغسطس الحالى. فمشكلة السياسة الصينية لا تُحلُ بإصدار كتابٍ رسميٍ مهما تكن أهميته0 وقد أظهر هذا الكتابُ مجددًا الافتقار إلى استراتيجية للتوحيد السلمى، إلى آليات للتواصل مع التايوانيين، رغم أنهم من يقررون قبول هذا التوحيد من عدمه، وليس الأمريكيون0 فالخطابُ المتضمن فى هذا الكتاب موجه أولا إلى السلطة التى يقودها اليوم حزبُ يفضلُ الانفصال، ثم إلى السكان ولكن بطريقة الوعد اللفظى بازدهارٍ اقتصادى وخدماتٍ اجتماعية، فى الوقت الذى كان الوعيدُ هو ما يرونه فعليا فى المناورات العسكرية الضخمة. ولعل أهم ما ينقصُ الكتاب الأبيض، فى هذا السياق، أنه أغفل حاجة التايوانيين للاطمئنان إلى أن أنماط حياتهم لن تتغير، وأن ما يحدثُ فى هونج كونج لن يتكرر معهم. مشكلةُ الصين مع تايوان، إذن، ليست التدخل الأمريكى، بل غياب الاستراتيجية التى تضعُ حدًا له، عبر آلياتٍ للتواصل مع التايوانيين عمومًا، وشبابهم خصوصًا.